الأوهام اللغويَّة في البحر المحيط لأبي حيَّان الأندلسي ت ٧٤٥هـ- جمعاً ودراسةً

Linguistic Errors in Albhr Almuheet for Abi Hayan Al-Andulusi (died 745 A.H.)

عتاب حميد حنتوش
د. سامي ابراهيم كنوش
أستاذ مساعد
جامعة الأنبار- كلية التربية للبنات –
قسم اللغة العربية

Etab Hameed Hantoush
Dr. Sami Ibrahim Knoush
Assistant Professor
University of Anbar - College of Education for Girls - Department of Arabic Language

eta19w5007@uoanbar.edu.iq

تاريخ الاستلام ٢٠٢٢/٩/٤ تاريخ القبول ٢٠٢٢/٩/٢٩

الكلمات المفتاحية: الأوهام، خطأ، أبو حيان، البحر المحيط، النحاة، المفسرون

Keywords: Errors, Mistakes, Abu Hayan, Albhr Almuheet, Grammarians, Interpreters

الملخص

إنَّ أيَّة قاعدة علميَّة، أو معرفيَّة، وفي شتى العلوم، ومنها علوم العربية لا تكاد تخلو من نوع من أنواع الخلاف فيها بين العلماء، لأسباب عدَّة، بعضها راجعٌ إلى النقل، وبعضها الآخر يرجع إلى العقل والفهم المتحصِّل لدى كلٍّ منهم إزاء المسألة المُختلف فيها .

وقد حفلت كتب اللغة والنحو وسائر العلوم بشواهد لا حصر لها من وجوه تلك الخلافات وصورها . وبحثنا هذا يقف عند واحد من مظاهر الخلاف بين العلماء، وهو ما وُصِفَ بالوَهْمِ، أو بالخطأ في الآراء والأحكام إزاء قسمٍ من المسائل اللغويَّة، وفي قسمٍ من أوجه القراءات وما بُني عليها من أحكامٍ تخصُّ اللغة، وذلك في سِفْرٍ من أسفار العربية، وكنزٍ من كنوزها هو كتاب (البحر المحيط في التفسير) لأبي حيَّان الأندلسيِّ . رحمه الله . إذ وقف أبو حيَّان عند جملةٍ من المسائل، وفي مواضع كثيرة من كتابه الكبير راصداً مواضعها، وواصفاً أحكام بعض العلماء فيها بالوَهْمِ، أو بالخطأ، وناقلاً في قسمٍ منها أقوالَ غيرهِ من العلماءِ ممَّن ذهبوا فيها المذهبَ نفسَهُ، ورأوا فيها الرأيَ ذاته .

فجاء هذا البحث مشتملاً على قسمٍ من تلك المسائل بعد جمعها واستقصائها من عُبابِ ذلك البحر الكبير ..

Abstract

It can be argued that any scientific or epistemological base in various sciences, including Arabic sciences, is hardly devoid of a kind of dispute among scholars, for several reasons, some of which are related to transmission, and some of them are due to reasoning and the understanding obtained by each of them regarding the issue in which they differ.

Consequently, this difference varies in its degree and strength, as well as in the number of those who say it, and it may extend to include eras of history, and extend to cover centuries of time and types of sciences.

The books of language, grammar and other sciences are full of countless evidence of the faces and forms of these differences. And our research stands at one of the aspects of disagreement among scholars, which is what has been described as delusion, or a mistake in opinions and judgments regarding a section of linguistic issues, and in a section of the aspects of readings and the provisions based on them regarding language. This is in one of the books of Arabic, and a treasure of Its treasures is the book (Al-Bahr al-Muheet fi al-Tafsir) by Abu Hayyan al-Andalusi - may God have mercy on him - as Abu Hayyan stopped at a number of issues, and in places that exceeded eighty places in his great book, observing their places, and describing the rulings of some scholars in them as delusional, or wrong, and he quoted in some of them and the sayings of other scholars who held the same doctrine, and held the same opinion.

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، المُتفرِّدِ بالقوةِ والكمالِ والجمالِ، حمداً يُوافي نِعَمَهُ، ويُكافئُ مَزيدَهُ، وأفضَلُ الصلاةِ، وأتَمُّ التَّسليمِ على سيِّدِنا مُحَمَّدٍ . سيِّدِ الأوَّلينَ والآخِرينَ . وعلى آلِهِ وأصحابِهِ أجمعينَ، ومَن دَعَا بدعوَتِهِ، وسارَ على نَهجِهِ، واهتَدى بهَدْيِهِ إلى يومِ الدِّينِ .

أمَّا بَعدُ : فإنَّ كُتُبَ اللغةِ والنحوِ وسائرِ العلومِ حافِلةٌ بما وقعَ بينَ العلماءِ منِ اختلافٍ في الآراءِ والأقوالِ في مَسائِلَ شَتَّى، إذْ لا تكادُ تخلُو لُغةٌ مِن اللغاتِ، ولا علمٌ مِن العلومِ مِن تَفَاوُتٍ في الفَهْمِ، وتَبَايُنٍ في المواقفِ، واختلافٍ في الآراءِ بينَ العُلماءِ، والمُشتَغلينَ بتحصيلِها، وإرساءِ قواعدِها، معَ تَفاوُتٍ في درجةِ الاختلافِ، وذلكَ على مَرِّ العُصورِ والأزمانِ .

وكانَ هذا دافِعاً لي للخوضِ في هذا المَجالِ، وإبرازِ جانبٍ مِن جوانِبِ الخِلافِ بينَ العُلماءِ في القضايا اللغويَّةِ ، وسبباً لاختيارِ أحَدِ مظاهِرِ ذلكَ الاختلافِ عُنواناً لموضوعِ بحثي هذا، وفي واحدٍ مِن كُتُبِ التفسيرِ المعروفَةِ، فكانَ العُنوانُ : (الأوهامُ اللغويَّةُ في البَحرِ المُحيطِ لأبي حَيَّان الأندلُسيِّ ت ٧٤٥ هـ . جمعاً ودراسةً)، إذ شملَ البحثُ ما وُصِفَ بالوَهْمِ أوِ الخَطَأِ مِن الآراءِ اللغويَّةِ، وما وردَ مِن ذلكَ في القراءاتِ المُختلفةِ أيضاً .

وكانَ مَنهجِي في الدراسَةِ يقوم على استقصاءِ تلكَ الآراءِ والأحكامِ التي رصدَها أبو حَيَّان في كتابِهِ، وجمعِهَا، ومِن ثَمَّ دراستها، وبيان موقفِ العلماءِ منها، ومدى موافقتِها للقواعدِ العامَّةِ، وما خرجَ منها على تلكَ القواعدِ التي استقرَّ عليها اللسانُ العربيُّ، وما اشتملَتْ عليهِ القراءاتُ مِن مَظاهِرِ هذا الاستعمالِ .

وقد اقتَضتْ طبيعةُ البحثِ أنْ يكونَ على مبحثين، تسبقُهما مقدمةٌ أوجزتُ فيها أهمَّ ما جاءَ في هذا البحثِ إيضاحاً وتعريفاً، وتعقُبُهما خاتمةٌ تضمَّنتْ أهَمَّ النتائجِ التي خرجَ بها البحثُ وأفرزتْها الدراسةُ .

أمَّا المبحث الأول فقد خصَّصتُهُ بالمسائلِ اللغويَّةِ وما وقعَ فيها مِن أوهامٍ، أو أخطاءٍ بحَسْبِ ما يراهُ القائلونَ بذلكَ، وقد اشتمل على سبع مسائل شملت قضايا لغويَّةً مختلفة .

وأمَّا المبحث الثاني فضمَّنْتُهُ مسائِلَ مُختارةً مِمَّا وقعَ في بعضِ القراءاتِ القرآنيَّةِ مِن أوهامٍ، أو أخطاءٍ لغويَّةٍ، أو في توجيهِ القراءةِ، وذلك وُفْقاً لتوصيف القائلينَ بذلكَ وتوجيههم، وقد اشتمل على خمس مسائل .

وبما أنَّ جميع الشواهد في هذا البحث، شواهد قرآنيَّة، فقد كان المنهج الذي اتبعتُهُ في ترتيب المسائل في المباحث وفق تسلسل الآيات وترتيبها في القرآن الكريم .

وأمَّا الخاتمة فقد تضمَّنت أهمَّ النتائج التي خرج بها البحث، وتمخَّضت عن الدراسة ..

وختاماً أسألُ اللهَ . تعالى . أنْ أكونَ قدْ وُفِّقْتُ فيما قدمْتُ من جهد، وما توصَّلتُ إليه من نتائج، وما جرى البحث فيه من المسائل، وأن أكون قد وفَّيْتُ الموضوعَ حقَّهُ، وألتمِسُ العُذرَ عمَّا شابَ هذا البحْثَ مِن الخَلَلِ والزلَلِ والتقصير، وأسألُهُ . تعالى . العفوَ والتوفيقَ والسَّداد

إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه .. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين ..

المبحث الأول

ما وقع من الوهم في المسائل اللُّغويَّة

وفيه سبع مسائل ممَّا وقف عنده العلماء من المواضع **ووصفوه بالوهم أو بالخطأ**، فجاءت تلك المسائل مبثوثة في ثنايا البحر المحيط. وقد رصدها أبو حيان وأشار إلى القائلين بها وردود بعضهم وتأويلاتهم وتوجيهاتهم. وكان لأبي حيان نصيب من تلك المواضع والآراء. وجاء بعضها منقولاً على لسانه مما ذكره العلماء من المسائل والآراء. فكان لأبي حيان حضور في جميع المواضع، إذ وقف عندها معللاً، ومصوباً، وموجهاً، وواصفاً بعضها بالوهم أو بالخطأ أحياناً. وقد شملت تلك المسائل موادَّ لغوية مختلفة ومفرداتٍ جاءت ضمن نصوص التنزيل وفي مواضع مختلفة من القرآن الكريم. فكان ترتيبها حسب تسلسل ورود شواهدها في القرآن الكريم.

فجاءت مرتبة على النحو الآتي:

المسألة الأولى: التوجيه اللغوي لقوله تعالى:﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[1]. إذ تباينت آراء العلماء في توجيه الاسم الموصول (الذي) إذ يرى أبو حيان أنه مفرد وإن كان في المعنى نعتاً لما تحته أفراد، أي لما له أفراد وإن التقدير في الآية الكريمة: كمثل الجمع الذي استوقد.... مستدلاً على ذلك بتأويل النحاة لقول الشاعر[2]: **وإنّ الذي حانت بفلج دماؤهم.....**

وإن الاسم الموصول في النص الكريم لا يحمل على الجمع لفظاً ومعنى، حملاً على قوله تعالى: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾[3] .

وأول إشارة تقف عليها عند الخليل إذ ذهب إلى أن معنى (تتلو) التي هي من أصل (تلو) بمعنى تَلاَ فلان القرآن يتلو تِلاوة. وتلا الشيء: تبعه تُلُوّاً. والأمهات هن المتالي، تلاهن أولادهن الواحد مُتْلٍ والتلوُ، ولد الحمار، وكل شيء يتلو شيئاً فهو تلوه. والتِّلّة: الحاجة. وأتليت فلاناً على فلان أي أصلته[4].

وأورد أحمد بن فارس رأيه قائلاً: "(تلو) التاء واللام والواو أصل واحد، وهو الاتباع. يقال: تلوته إذا تبعته. ومنه تلاوة القرآن لأنه يتبع آية بعد آية. فأما قوله تلوت الرجل أتلوه تلواً

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٢) البيت منسوب للأشهب ب رميلة في الكتاب:١٨٧/١، وشرح المفصل٣٩٤/٢، وشرح شواهد المغني:٥١٧/٢ ، ولسان العرب:٣٤٩/٢ ، وخزانة الأدب:٧/٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧ .

(٤) العين ١٣٤/٨ ، وينظر لسان العرب ١٠٤/١٤.

إذا خذلته وتركته، فإن كان صحيحاً فهو القياس ؛ لأنه مصاحبه ومعه، فإذا انقطع عنه وتركه فقد صار خلفه بمنزلة التالي"[١].

وجاء في الإفصاح في فقه اللغة أنه (التّلوُ): ما يتلو الشيء وهي تلوة وتتالت الأمور تلا بعضها بعضاً، مازلت أتلوه حتى أتليته: أي تقدمته وصار خلفي[٢].

كأنه قال كمثل الذين فحمل على لفظ (الذي) فوحده وآخره على المعنى فجمعه[٣].

(الذي) استعملت مفردة للجنس ورجح الضمير تارة إلى لفظها مفردة وتارة إلى معناها مجموعاً كقوله: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾، هنا جاء بالضمائر مفرداً وجمعاً[٤]. الضمائر في النص القرآني (بنورهم، تركهم، يبصرون) عائدة على (الذي) فلفظه لفظ المفرد ومعناه الجمع، وقضت قواعد الإملاء أن تكتب (الذي) أو (التي) بلام واحدة وتحذف الثانية لأن كثرة الاستعمال لا تجعل القارئ يشتبه في حقيقتها، (الذي) و(التي) لفظتان مبنيتان دائماً على السكون في محل رفع أو نصب أو جر بحسب المقتضى[٥]..

وورد في الذكر الحكيم في مواضع عدة إيثار صيغة الجمع على المفرد لما تحمله صيغة الجمع من معان تتوافق مع السياق أكثر توافقاً من المفرد ولا سيما أن السياق الذي ترد فيه صيغة الجمع يفيد التخويف والترهيب فالنص القرآني الكريم: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ في هذا الموضع يمثل تكاثر الشبهات على المنافقين حين تخلوا عن الإيمان بمن انطفأ نوره فصار في ظلمة حالكة فقد اختير لبيان هذا المعنى صيغة الجمع (الظلمات)[٦].

---

(١) مقاييس اللغة: ٣٥١/١.

(٢) الافصاح في فقه اللغة: ٢٦٨/١.

(٣) الأزهية: ١٠٢/١ .

(٤) ينظر: مسائل النحو مفردة: ١٦/١ ، وأبو البقاء العكبري وجهوده في النحو: ٢٤١/١ .

(٥) المعجم المفصل في النحو العربي: ١٤١/١.

(٦) التحذير في القرآن الكريم دراسة في مستويات اللغة: ١٠٢/١.

المسألة الثانية: التوجيه اللغوي لقوله تعالى:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ [١].

يتناول البحث في هذه المسألة قضية المعنى الذي تؤديه لفظة (تلوا) هل هي بمعنى الاتباع أم ماذا ؟ وهي من المسائل التي وقف عندها أبو حيان، قال ابن عباس (تتلوا) بمعنى (تتبع) وقال أبو مسلم إن (تتلوا) يعنى تعمل. وهنا (ما) موصولة صلتها (تتلوا) وهو مضارع في معنى الماضي أي ما تلت، قال الكوفيون المعنى: ما كانت تتلوا، فهم لا يريدون أن صلة ما) محذوفة وهي (كانت)، وتتلوا في موضع الخبر وإنما يريدون أن المضارع وقع موقع الماضي كما أنك إذا قلت: كان زيد يقوم، وهو إخبار بقيام زيد، وهو ماض لدلالة كان عليه. والشياطين: ظاهرهُ أنهم شياطين الجن؛ لأنه إذا أطلق الشيطان تبادر إلى الذهن أنه من الجان، وقيل المراد شياطين الإنس، وقرأ الحسن والضحاك: الشياطون بالرفع (الواو) وهو شاذ قاسه على قول العرب: بستان فلان حوله بساتون، رواه الأصمعي وقالوا: والصحيح أن هذا الجن فاحش قال أبو البقاء: شبّه فيه الباء قبل النون بياء جمع الصحيح إن هذا الجن فاحش من الغلط، وقال السجاوندي: خطأ الخازريجي[٢]. ووردت آراء كثيرة في اللفظ الذي يأتي بمعنى الماضي وهو يدل على المستقبل، هنا وردت لفظة (تتلوا) في النص الكريم بمعنى ما تلت[٣].

وقالوا أيضاً: ((إن (تلت) بالماضي دفاع آخر للأعتباطية عن الشياطين واتباعهم فقد (تلوا) بالماضي ولا يتلون الان)) [٤].

وذهب بعض النحويين إلى أن (على) بمعنى (في) في الآية الكرية أي أن المعنى في ملك سليمان لأن (يتلو). معنى (يقول) "فكأنه قال: ما تقول الشياطين في ملك سليمان وهذا لا صحة فيه لأنه يمكن أن تجعل (تتلو) في معنى (تتقول) لأن ما تلته باطل فهو تقوّل"[٥]. ولازلنا في قضية معنى الماضي وفائدته إحضاراً للصورة العجيبة وإشارة إلى تجدده شيئاً فشيئاً، كقوله:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾. أي ما تلت ثم إن التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه يحتمل أن يكون من المجاز المرسل والعلاقة بينهما من التضاد ؛ لأن الضد أقرب

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٢) البحر المحيط: ٥٢٢/١.

(٣) فقه اللغة وسر العربية: ٢٢٨/١.

(٤) الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية: ٦٥/١.

(٥) ينظر: شرح جمل الزجاجي لأبن عصفور: ١٨٧/٢ ، وشرح الدماميني على مغني اللبيب ٢/ ٦.

حضوراً بالبال عند ذكر ضده فبينهما شبه المجاورة لتقارنها غالباً في الخيال لكن هذا الاحتمال لا يفيد المبالغة المقصودة وهي الإشعار بتحقق الوقوع وإن هذا المستقبل كالماضي(١).

وقال الفراء: كما تقول: في ملك سليمان، هنا تصلح (في) و(على) في هذا الموضع، تقول: أتيته في عهد سليمان وعلى عهد وخرّج الرازي المعنى على تقدير محذوف قائلاً: "والأقرب أن يكون المراد واتبعوا ما تتلوا الشياطين افتراء على ملك سليمان لأنهم كانوا يقرؤون من كتب السحر ويقولون: إن سليمان إنما جد ذلك الملك بسبب ذلك العلم فكانت تلاوتهم لتلك الكتب كالافتراء على ملك سليمان". وابن كثير قد ضمن الفعل (تتلوا) معنى (تكذب) وعده أحسن وأولى، فتقدير الرازي كان ليحافظ على المعنى الأصلي لـ(على) وهو الاستعلاء بمعنى ارتفع عن الحقيقة وابتعد عنها وتضمين ابن كثير الفعل معنى (تكذب) لأنه يتعدى بـ (على) فعدى (تتلوا) بـ (على) لأنه أشرب معنى (تكذب)(٢).

"خلاصة الكلام إن المعنى الذي أفادته لفظة (تتلوا) وهو التقوّل بالكلام والتكذيب".

المسألة الثالثة: التوجيه اللغوي لقوله تعالى: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾(٣)

والبحث في هذه المسألة يتناول آراء العلماء في معاني المفردات: رفث، فسوق، جدال، وكذلك في معنى لا في هذا النص الكريم، واحتمال تضمنها معنى (ليس). إذ نظر أبو حيان في هذا النص من أكثر من جانب، إذ أشار الى القراءات الواردة فيه فبين أنها قرئت بالتنوين وبلا تنوين فقال: ((وأما قراءة النصب والتنوين فإنها منصوبة على المصادر، والعامل فيها أفعال من لفظها، التقدير: فلا يرفث رفثاً، ولا يفسق فسوقاً، ولا يجادل جدالاً. و (في الحج) متعلق بما شئت من هذه الافعال على طريقة الإعمال والتنازع)) (٤).

ويشير إلى قراءة الفتح من غير تنوين فيقول: ((واما قراءة الفتح في الثلاثة من غير تنوين، فالخلاف في الحركة، أهي حركة إعراب أم حركة بناء.

الثاني قول الجمهور، والدلائل منكورة في النحو، وإذا بني معها على الفتح فهل المجموع من (لا) والمبني معها في موضع رفع على الابتداء ؟

---

(١) حاشية الدسوقي: ٧٤٥/١.

(٢) معنى الحروف الثنائية والثلاثية: ١٤٩/١ ، وينظر: الأزهية في علم الحروف: ٩٣/١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٤) البحر المحيط: ٢٨٢/٢.

وإن كانت (لا) عاملة في الاسم النصب على الموضع، ولا خير لها، أو ليس المجموع في موضع مبتدأ ؟ بل لا عاملة في ذلك الاسم النصب على الموضع وما بعدها خبر (لا)، إذا أجريت مجرى (إن) في نصب الاسم ورفع الخبر [١].

ويشير أبو حيان إلى قراءة الرفع فيقول: ((وأما قراءة من رفع ونون فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ، وفتح من غير تنوين: ولا جدال، فعلى ما اخترناه في الدفع على الابتداء وعلى مذهب سيبويه: أن المفتوح مع لا في موضع رفع على الابتداء، يكون (في الحج).

خبراً عن الجمع، لأنه ليس فيه إلا العطف، عطف مبتدأ على مبتدأ [٢].

ويمضي أبو حيان في بيان ما في هذا النص الكريم من آراء مشيراً إلى رأي ابن عطية فيها ومعنى (لا) فيقول: ((وقال ابن عطية في هذه القراءة ما نصه: و (لا) بمعنى (ليس)، وخبرها محذوف على قراءة أبي عمر و (في الحج) خبر (لا جدال)، وحذف الخبر هنا هو على مذهب أبي علي، وقد خولف في ذلك بل (في الحج) هو خبر الكل، إذ هو في موضع رفع في الوجهين ؛ لأن (لا) إنما تعمل على بابها فيما يليها، وخبرها مرفوع ب (إن) على حالة خبر الاستداء، وظن أبو علي أنها بمنزلة (ليس) في نصب الخبر، وليس كذلك بل هي والاسم في موضع الابتداء يطلبان الخبر و (في الحج) هو الخبر . انتهى))[٣].

وسأتتبع معاني المفردات: رفث، فسوق، جدال، في المعاجم العربية وكتب اللغة والمفسرين.

وأول أشارة نقف عليها عند الخيل في معنى لفظة (جدال) التي أصلها (جدل) فقال: ((جدل: رجل جدل مجدال أبي خصم فخصام، والفعل جادل يجادل مجادلة، وجدله جدلاً مجزوم، فأنجدل صريحاً، واكثر ما يقال: جدلته تجديلاً أي صرعته، ويقال للذكر الفرد: أنه يجدلُ جدل، والجدلية شريحة الحمام، وجديلة قبيلة. والاجدال من صفة الصقر)) [٤].

وذكر الخليل في موضع آخر معنى الرفث وأشار اليها فقال: ((الرفث: الجماع، رفث إليها وترفث، وهذه كتابة، فلان يرفث: أي يقول كلام الفحش، وقال ابن عباس: الرفث ما قيل عند النساء وقوله عز وجل ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ أنما نهى عن قول الفحش)) [٥].

---

(١) البحر المحيط: ٢/٢٨٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٢٨٢.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) العين: ٦/٧٩.

(٥) المصدر نفسه: ٨/٢٢٠.

وشار القاسم بن سلام الى قول ابن عباس قائلاً ومنه قول ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾ قال الرفث الذي ذكر هنا ليس بالرفث الذي ذكر في موضع أخر هو التعريض بذكر النكاح وهو العرابة في كلام العرب. وقوله العرابة كأنه اسم موضوع من التعريب، وهو ما قبح من الكلام وكذلك الإعراب يقال منه (عربت، اعربت، إعراباً) [١].

وجاء في جمهرة اللغة أن الرفث: هو قبيح الكلام، ورفث الرجل يرفث رفثاً وهو الذي فيه النهي في التنزيل في قوله تعالى ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ [٢]

وجاء في الصحاح ان معغنى فسوق التي أصلها فسق في معاجم اللغة العربية وهي بمعنى الخروج فقال الجوهري: ((أن فسق أي فسقت الرطبة أذا خرجت عن قشرها، وفسق الرجل يفسق ويفسق ايضاً، عن الاخفش، فسقاً وفسوقاً أي فجر.

يقال فسق عن امر ربه أي خرج، يقال في النداء: يا فسق ويا خبث يريد بها يا أيها الفاسق ويا أيها الخبيث وهو معرفة. يدل على ذلك أنهم يقولون: يا فسق الخبيث فينعتونه بالألف واللام وتقول للمرأة: يا فساق، مثل يا قطام)) [٣].

وذهب أبو بكر الانباري في قراءة الرفع في (رفث، فسوق، جدال) فقال ابو بكر: ((قد قرئ بالوجهين قرؤوا ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ وقرأوا ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾، قال القراء: إنما يحسن فيه الرفع إذا نسق عليه ب (لا) فإذا لم ينسق عليه ب(لا) فاختياره النصب كقوله تعالى:﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾.

فالريب منصوب ب (لا) على التبرئة و(فيه) خبر (التبرئة) وقال لم يقرأ أحد من القراء : لا ريب فيه بالرفع، قال أبو بكر: وزعم القراء أنها لغة للعرب وحكى عن بعضهم (لا إلهٌ إلا الله)[٤].

وذهب ابن فارس في معجمه وتناول معنى لفظة (جدال) التي أصلها (جدل) وقال: ((جدل: الجيم والدال واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استريسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام.

---

(١) غريب الحديث للقاسم بن سلام: ٢٥٣/٣.

(٢) جمهرة اللغة: ٤٢٢/١.

(٣) الصحاح: ١٥٤٣/٤.

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٢/١.

ويقال للزمام الممر جديل، والجدول: نهر صغير وهو ممتد ماؤه اقوى في اجتماع أجزائه من المنبطح السائح)) [١].

وفي موضع اخر ذكر معنى (فسوق) التي جذرها (فسق) وقال: ((فسق: الفاء والسين والقاف كلمة واحدة وهي الفسق وهو الخروج عن الطاعة، تقول العرب: فسق الرطبة عن قشرها إذا أخرجت حكاه القراء، ولا يقولون أن القاره فويسقة وهذا جاء في الحديث)) [٢].

وأشار ابن منظور الى معنى الفسوق ودلالته .

فقال: (الفسوق: هو العرابة في كلام العرب، قال والعرابة كأنه اسم موضوع من التعريب وهو ما قبح من الكلام يقال منه عربت واعربت، ومنه حديث عطاء انه كره الاعراب للمحرم وهو الافحاش في القول، والرفث يقال أراد به الايضاح والتصريح، وفي حديث ابن الزبير لا تحل العرابة للمحرم) [٣].

وذكر في موضع أخر معنى الرفث وقال: ((رفث في كلامه، يرفث رفثاً، ورفث رفثاً، ورفث بالضم عن اللحياني، وارفث كله: افحش، وقيل افحش في شأن النساء، في قوله تعالى: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ ﴾ يجوز ان يكون الافحاش، وقال الزجاج: أي لا جماع ولا كلمة من أسباب الجماع.

والرفث: التعريض بالنكاح. وقال غيره: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرآة)) [٤].

وذهب ابو حيان ايضا الى بيان معنى الرفث فقال: ((رفث: وهو النكاح او الافصاح بما يجب ان يكنى عنه من ذكر النكاح)) [٥].

وجاء في مجمع بحار الانوار ان الرفث هو ما روجع به النساء، كان يرى الرفث المنهي عنه ما خوطبت به المرآة ما لا يقال بغير سماعها [٦]. وذكر في موضع اخر: ((أن الرفث: بفتح الفاء وكسرها، فتح في قوله (اصل لكم ليلة الصيام الرفث) أي الجماع ولما دل على صل الطعام فيطابق نزوله في قصة قيس، وكان نام قبل الاكل) [٧].

---

(١) مقاييس اللغة: ٤٣٣/١.

(٢) المصدر نفسه: ٥٠٢/٤.

(٣) لسان العرب: ٢٨٦٦/٤، وينظر: تاج العروس: ٣٣٦/٣.

(٤) لسان العرب: ١٥٤/٢.

(٥) تحفة الاريب بما في القران من الغريب: ١٣٤.

(٦) مجمع بحار الانوار: ٣٤٨/٢.

(٧) المصدر نفسه: ٤٥٣/٥.

ويشير الكفوي في كتابه في معنى (فسوق) فيقول: ((كله راجع في اللغة الى الخروج، من قولهم: فسقت الرطبة عن القشر، (وغنه لفسق) أي خرود عن الحق، ويختلف الخروج فتارة خروج فعلاً واخرى خروج اعتقاداً وفعلاً.

-والفاسق أعم من الكافر.

-الظالم أعم من الفاسق

-الفاجر يطلق على الكافر والفاسق [١]

وذكر في موضع اخر ان معنى قوله (فلا رفث) فلا جماع، ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع، (ولا جدال) أي ولا مراء مع الخدم والرفقة في ايام الحج.[٢]

خلاصة المسألة

وبعد الاطلاع على آراء العلماء وأقوالهم في هذه المسألة يبدو أن القول الارجح فيها هو ما ذهب اليه ابن عباس رضي الله عنه وغيره من ان النهي في هذه الاية الكريمة يشمل القول واللفعل ولالاشارة وكل ما يؤدي الى الفعل المنهي عنه في هذا النص الكريم.

المسألة الرابعة: التوجيه اللغوي لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ ﴾ [٣]. يتناول البحث في هذه المسألة حركة الخاء والطاء والواو في (خطوات) وهي من المسائل التي وقف عندها أبو حيان، وأورد آراء العلماء في هذه المسألة وذكر رأي ابن عامر والكسائي وقنبل وحفص وابن عباس وعن أبي عمرو والبرمجي عن أبي بكر: بضم الخاء والطاء والواو، وقرأ باقي السبعة بضم الخاء وإسكان الطاء وقرأ أبو السّمال: خَطَوَاتٍ بفتح الخاء والطاء والواو، جمع خطوة وهي (المرّة) من الخطو، وقرأ علي وقتادة والأعمش: خُطُؤات بضم الخاء والطاء والهمزة، واختلف في توجيه هذه القراءات فقيل: الهمزة أصل وهو من الخطأ جمع خطأة وممن قال إنه من الخطأ أبو الحسن والأخفش وفسره مجاهد خطاياه وتفسيره يحتمل أن يكون فسره بالمرادف أو فسر بالمعنى. وقيل هو جمع خطوة لكنه توهم بضمة الطاء أنها على الواو فهمز لأن مثل ذلك قد يهمز[٤].

---

(١) الكليات: ٦٩٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٩٧٨

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٨.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ١٠١/٢.

وأول إشارة نقف عليها في لفظ (خطوات) عند الخليل إذ ذهب إلى أن (خطوات) أصلها من (خطو): خَطَوْتُ خَطْوَةً واحدةً، والاسم الخُطْوةُ، وجمعها خُطى. ومن خفف قال: خُطْوات أي: آثار الشيطان أي لا تقتدوا به. ومن همز جعل الواحدة خُطأة من الخطيئة أي مأثماً[١].

وجاء في الصحاح أن خطأ: الْخُطْوَةُ بالضم ما بين القدمين، وجمع القلة (خُطُوَاتٌ) بضم الطاء وفتحها وسكونها والكثير (خُطًى) و(الْخَطْوَةُ بالفتح المرّة الواحدة والجمع (خَطَوَاتٌ بفتح الطاء، و(خِطَاءٌ) بالكسر والمد مثل رَكْوةٍ ورِكَاءٍ[٢].

وجاء في لسان العرب عن الأزهري في المعتل ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ قال: قرأ بعضهم: خُطُؤات الشيطان من الخطيئة: المأثم[٣]. ووردت لفظة (خطوات) وتعددت فيها القراءات ويحتمل تفسير من قرأ (خُطُوَات) بضم الخاء والطاء وفتح الواو. ووردت قراءة في الآية الكريمة ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾: خُطُوات وذكر الزبيدي أن بعض القرّاء قرأها مهموزة الواو (خُطُؤات) وهي من الخطيئة والمأثم وأنه لم يعلم أن أحداً من قرّاء الأمصار قرأها بالهمز وأنه لا معنى له[٤]. وردّ ابن جني قراءة الهمز قائلاً: "أما الهمز في هذا الموضوع فمردود ؛ لأنه من خطوت لا من أخطأت، والذي يصرف هذا أليه يكون كما تهمز العرب. ولا حظَّ له في الهمز. نحو صلَّاتُ السويق. ورثأت (وأما خَطَوات فجمع خَطوةٍ وهي الفعلة، والخُطوة ما بين القدمين...)[٥].

تقرر في اللغة أن الواو إذا جاءت مضمومة فإنها تهمز كقوله تعالى:﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ ﴾ [٦].

قرأ بعضهم التناؤش وقال الزبيدي إن(النأش) كالمنع وهو جاء من التناول يقال: نأشت الشيء نأشاً إذا تناولته. وقال ثعلب: "إن التناؤش هو الأخذ من بُعد وإنْ كان من قرب فهو التناوش من دون همز"[٧].

---

(١) العين: ٢٩٢/٤.

(٢) الصحاح: ٢٣٢٨/٦، وينظر: مختار الصحاح : ٩٣.

(٣) لسان العرب: ٦٧/١.

(٤) تاج العروس (خطو): ٦٩/١.

(٥) المحتسب: ١١٧/١.

(٦) سورة سبأ، الآية: ٥٢.

(٧) أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية، تاج العروس انموذجاً: ١/٣٣.

"وأوردت قراءة بإثبات الضم في (خُطُوات) فإن إثبات الضم ثقيلٌ وهو لهجة أهل الحجاز (خُطُواتٍ). أمَّا ترك الضم من عين الكلمة تخفيفاً (خطَواتٍ) فهذه لهجة تميم[١].وبعد الاطلاع على آراء العلماء والمفسرين تبين أنه جاء فيها قراءات كثيرة في لفظة (خطوات) منهم من قرأها بالفتح وآخرون قرؤوها بهمز الواو، فيبدو أن القراءة الصحيحة ما عليه الجمهور وهي قراءة الضم (خُطُوات) وهي من الخطو أي لا تتبعوا خطى الشيطان وأعماله".

المسألة الخامسة: التوجيه اللغوي لقوله تعالى: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾[٢]. يتناول البحث في هذه المسألة الجملة الشرطية التي جوابها محذوف عليه ما قبله وهي من المسائل التي وقف عندها أبو حيان وقال: ((إن ظنا شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه، فيكون جواز التراجع موقوفاً على شرطين: أحدهما طلاق الزوج الثاني والآخر: ظنهما إقامة حدود الله، ومفهوم الشرط الثاني أنه لا يجوز: إن لم يظنا، والظن هنا تغليب أحد الجائزين، وبهذا يتبين أن معنى الخوف في الآية هو خلع معنى الظن ؛ لأن مساق الحدود مساق واحد. قال عنه أبو عبيدة وغيره إن المعنى: أيقنا أي جعل الظن هنا بمعنى اليقين، وضعف قولهم بأن اليقين لايعلمه إلا الله إذ هو مغيب عنهما))[٣].

وذهب الزمخشري إلى أن الظن هنا لا يحمل على العلم فقال: ((ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى، لأنك لا تقول: علمت أن يقوم زيدٌ. ولكن علمت أنه يقوم. ولأن الإنسان لا يعلم ما في الغد وإنما يظن ظناً))[٤].

والشرط على ضربين: شرط واجب إعماله كقولك: (إن خرج زيد خرجت) وقوله تعالى: ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [٥]. والشرط الآخر هو غير معزوم عليه ولا محتوم كقوله تعالى: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [٦]. فقوله (إن ظنا) بشرط لإطلاق المراجعة، فلو كان محتوماً مفروضاً لما جاز لهما أن يتراجعا إلا بعد الظن أن يقيما حدود الله فالشرط هنا كالمجاز غير المعزوم مثله كقوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ

(١) القرآن الكريم واللهجات العربية: ٤٣/١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٠.
(٣) البحر المحيط: ٤٨١/٢.
(٤) الكشاف: ٢٧٦/١.
(٥) سورة النساء، الآية: ٤.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٣٠.

إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ [١]. لأن الأمر بالتذكير واقع في كل وقت[٢]. وأورد الزركشي رأيه قائلاً: ((الفرق بينهما في القرآن ضابطان: أحدهما: أنه حيث وجد الظن محموداً مثاباً عليه فهو اليقين، وحيث وجد مذموما" متوعداً بالعقاب عليه فهو الشك، الثاني: إن كل ظن يتصل بعده (أن) الخفيفة فهو شك نحو ﴿ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ ﴾ [٣]. وكل ظن يتصل بعده (أنّ) المشددة فهو يقين كقوله تعالى: ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴾[٤]. وقوله: ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴾ [٥] وقرىء؛ وأيقن أنه الفراق، والمعنى في ذلك أن (أنّ) المشددة للتأكيد فدخلت على اليقين، والمخففة بخلافها فدخلت على الشك[٦].

وذكر السيوطي رأيه قائلاً: ((إن (ظنا) أصلها الاعتقاد الراجح كقوله تعالى: ﴿ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن مجاهد قال: كل ظن في القرآن يقين. ثم قال السيوطي: وهذا مشكل بكثير من الآيات لم يستعمل فيها معنى اليقين كالآية الأولى))[٧]. وقال ثعلب ((إن (خفت) بمعنى (ظننت) وقوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [٨]. أي الا ان يظنا))[٩]. وهناك من حملها على الاضداد ويبدو ان (الظن) معناه العلم بالشيء أي إلا أن يعلما[١٠].

المسألة السادسة: التوجيه اللغوي لقوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [١١] والبحث في هذه المسألة يتناول تصريفات الفعل (باع) أو بناءه، إذ وقف أبو حيان عند هذه المسألة مبيناً أن البيع مشتق من الفعل (باع – يبيع) مشيراً إلى

---

(١) سورة الاعلى، الآية: ٩.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب ٢٠٠/١.

(٣) سورة الفتح، الآية: ١٢.

(٤) سورة الحاقة، الاية: ٢٠.

(٥) سورة القيامة، الآية: ٢٨.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ١٣٨/٤.

(٧) البحث الدلالي عند العلامة السيوطي: ٧٢/١.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٩) النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري: ٢٣٥/١.

(١٠) الأضداد لأبن الانباري: ١٣٧/١.

(١١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

قول بعضهم إنه من (أباع) في معنى (باع)، واصفاً ذلك بالخطأ فيقول: ((البيع معروف والفعل منه باع يبيع، ومن قال أباع في معنى باع أخطأ))[١]. وأول إشارة نقف عليها في معاني (باع) وتعريفاتها اللغوية عند الخليل إذ ذهب إلى أن (ب وع): البَوعُ، والبَاعُ لغتان ولكن يسمى البَوعُ في الخلقة، وبسط الباع في الكرم ونحوه فلا يقال إلا كريم الباع قال:

له في المجد سابقةٌ وباع

والبَوعُ مصدر (باع) يبوع، بوعاً، وهو بسط الباع في المشي والتناول وفي الذرع[٢].

وجاء في مقاييس اللغة إن (بَوَع): الباء والواو والعين أصل واحد، وهو امتداد الشيء، فالبوع من قولك بُعْتُ الحبل بوعاً إذا مددت باعك به. قال النابغة:

يبَوع القدر إن قلق الوضين والرجل يبوع بماله إذا بسط به بَاعَهُ[٣].

وورد في الصحاح: ((أن (يبيع) (باع) الشيء (يبيعه) (بيعاً) و(مبيعاً) شراه وهو شاذ وقياسه (مَباعاً) و(بَاعَهُ) أيضاً اشتراه وهو من الأضداد وفي الحديث: (لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ولا يبيع على بيع أخيه) أي لا يشير على شراء أخيه الشي (مَبيعٌ) و(مَبْيُوعٌ) مثل: مَخِيط ومَخْيُوط. يقال للبائع والمشتري (بَيِّعَانِ) بتشديد الياء. و(أباع) الشي أي عرضه للبيع. منهم من يقلب الياء واواً فيقول: (بُوعَ) كما تقول في لحِيلَ وقِيلَ وأشباههما[٤].

هذا وبعد تتبع الأصل اللغوي أو الجذر اللغوي للفظة (باع) في معاجم اللغة العربية، ومن ثم تتبع اللفظة في كتب اللغويين والمفسرين وما قالوه في أصل هذه اللفظة.

وورد عند البصريين إنه يصح عندهم نحو: هذا أقوم منك وأبيع منك، ولو أنه فِعلٌ لوجب أن يعتل كالفعل (أقام) و(أباع) في قولهم (أباع الشيء)، فلما لم يعتل وصح كالأسماء مع ما دخله من الجمود والتصغير دل على أنه اسم . أما قوله إنه لا يتعرف فلا صحة فيه ولأنا أجمعنا على أن (عسى، ليس) فعلان ومع هذا لا يتصرفان لأن الفعل (أبيع – أباع) كأنه فعل تعجب، والصحيح هو ما ذهب اليه البصريون[٥]. وقال الهروي: (أباع) إنه معروف

(١) البحر المحيط: ٥٩٨/٢.

(٢) العين: ٢٦٤/٢ ، وينظر: تهذيب اللغة: ١٥٢/٣. ولم أقف على قوله : (**له في المجد سابقة وباع**) في مصدر آخر .

(٣) مقاييس اللغة: ٣١٨/١.

(٤) مختار الصحاح: ٤٣.

(٥) أسرار العربية: ١٠٣/١.

البيع هو مقابلة مال بمال على وجه التعليل، والفعل منه (باع – يبيع) وهو من الأجوف اليائي، ومن قال (أباع) في معنى (باع) فقد أخطأ لأنه لم يسمع منهم)) [١].

وقيل: (((أباع) فعل مزيد، وهو يختلف بمعناه عن الفعل المجرد (باع) فمعنى الفعل (أباع) عرضه للبيع)) [٢].

وخلاصة القول في هذه المسألة أن البيع سواء أكان من الفعل باع أو أباع فدلالته واحدة وهي إبدال مال مال.

المسألة السابعة: التوجيه اللغوي لقوله تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [٣].

يتناول البحث في هذه المسألة أقوال العلماء ومنهم أبو حيان في قوله (فإن ذلك من عزم الأمور)، إذ أورد قولاً لابن عطية يخطئ قول من ذهب إلى أن العزم والحزم بمعنى واحد فيقول: ((من عزم الأمور قبل من اشدها وأحسنها، والعزم: إمضاء الأمر المروى المنقح، وقال النقاش: العزم والحزم بمعنى واحد، والحاء مبدلة من العين قال ابن عطية: وهذا خطأ))[٤].و يمضي أبو حيان قائلاً: ((الحزم جودة النظر في الأمر، ونتيجته الحذر من الخطأ فيه، والعزم قصد الإمضاء والله تعالى يقول: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [٥]. فالمشاورة ما كان في معناها هو الحزم، العرب تقول: قد اهزِمُ لو اعزِمُ))[٦].

ويشير أبو حيان إلى ما أورد الزمخشري في هذه المسألة مما يتعلق بمعاني (العزم) فيقول: ((وقال الزمخشري: (من عزم الأمور) أي من معزومات الأمور، أي مما يجب عليه العزم من الأمور، أو مما عزم الله أن يكون، يعني أن ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم أن

(١) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ٢١٤/٤.
(٢) العقيق: ٢٧٠/١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦ ، سورة الشورى، الآية: ٤٣ ، سورة لقمان، الآية: ١٧.
(٤) البحر المحيط: ٤٦٤/٣.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٦) البحر المحيط: ٤٦٤/٣.

تصبروا وتتقوا))[١].. ويضيف قائلاً أيضاً: ((وقيل من عزم الأمور من جدها، وقال مجاهد في قوله فإذا عزم الأمر أي فإذا جد الأمر)[٢].

وللوقوف على المعاني الدقيقة لمادة (عزم) و(حزم) وأقوال العلماء فيها سأتناول ما جاء فيها من أقوال وآراء وذلك باستقصاء معانيها في كتب اللغة وأقوال المفسرين.

وأول إشارة لمعانى (عزم – حزم) نقف عليها عند الخليل إذ ذهب إلى أن العزم معناه ما عقد عليه القلب أنك فاعله أو عن أمر تيقنته، يقال ما لفلان عزيمة أي: ما يثبت على أمر يعتزم عليه وما وجدنا له عزماً[٣]. ومعنى الحزم عند الخليل هو المحَزّم: حزامة البقل، وهو الذي نشد به الحُزمة، حُزمهُ، يحزمُه حزماً[٤].

ومن دلالاتها ومعانيها إن (الحزم) معناه الشد والإجماع جاء في مقاييس اللغة: ((إن الحاء والزاي والميم أصل واحد، وهو شد الشيء وجمعه، قياس مطرد. فالحزم: جودة الرأي وكذلك الحزمة، وذلك اجتماعه إلا يكون مضطرباً منتشراً، والحزم للسرج من هذا. والحزمة من الحطب[٥].

ويمضي أبو حيان في ذكر ما ورد عن العرب في معنى (العزم والحزم) مشيراً إلى رأي القرطبي قائلاً : ((يقول القرطبي: وجه الحزم فإذا عزمت فأمضيت الرأي فأنا حازم، وإن تركت الصواب وأنا أراه وضيعت العزم لن ينفعني حزمي))[٦]. وقيل: لا تفسير للحزم والعزم على أن لها معنى واحداً، فيهما وجهان أحدهما: أن معناهما واحد وإن اختلف لفظهما الثاني معناهما مختلف وفي اختلافهما وجهان: أحدهما: أن الحزم الحذر والعزم القوة ومنه المثل: لا خير في عزم بغير حزم. الثاني: أن الحزم التأهب للأمر والعزم النفاذ فيه[٧].

---

(١) البحر المحيط: ٤٦٤/٣، وينظر: الكشاف: ٤٥٠/١.

(٢) المصدر نفسه ، وينظر: تفسير مجاهد: ٦٠٥.

(٣) العين: ٣٦٣/١ـ باب العين والزاي والميم، وينظر: تهذيب اللغة: ٩٠/٢٠.

(٤) العين: ١٦٥/٣ـ باب الحاء والزاي والميم.

(٥) مقاييس اللغة: ٤٦٤/٢.

(٦) تفسير القرطبي: ٢٥٢/٤ ، وينظر: المحرر الوجيز: ٥٥١/١ ، والبحر المحيط: ٤٦٤/٣.

(٧) تفسير الماوردي: ٣٣٨/٤، وينظر: تفسير: العز بن عبد السلام: ٥٤٠/٢.

وخلاصة القول في هذه المسألة أن العزم ما استقر في القلب من الرأي أو النية. والحزم هو الإصرار على إنفاذ ما استقر في القلب من النية والرأي، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١).

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

المبحث الثاني

ما وقع من الوهم في بعض القراءات وتوجيهها لغويًّا

وفيه خمس مسائل في مواضع مختلفة من البحر المحيط وقف عندها أبو حيَّان راصداً بعض ما قيل فيها من الوهم أو الخطأ من قبل بعض العلماء منسوباً إلى قائليه، وبعضها مما وصفه أبو حيَّان نفسه بالوهم أو الخطأ وهو يردُّ على بعض من تكلموا بذلك أو قرؤوا بوجه من أوجه القراءات، وقد جاءت تلك المسائل مبثوثة في ثنايا البحر المحيط، وقد شملت مواضع عدة من الكتاب العزيز، وتنوعت أقوال أبي حيَّان فيها بين التعليل والتصويب والإيضاح والترجيح والنقل والتأويل والتخريج والتوجيه.

وكان منهجه في ذلك وطريقة عرضه أن يعمد إلى نسبة القراءة إلى صاحبها، ومن ثم يُورد أقوال العلماء فيها، وأحياناً يُصرِّح برأيه معزَّزاً بأقوال العلماء فيها، وحججهم فيما ذهبوا إليه وأحياناً يُورد الرأي أو القول ثم يُصرِّحُ بموقفه منه بالرد أو القبول أو بوصفه بالوهم أو بالخطأ.

ويوضح أحياناً مرتبة القراءة موضع البحث بين القراءات، ودرجتها بين التواتر والقبول والشذوذ والضعف، وما يتمخَّضُ عنها من توجيه لغوي أو نحوي منسوباً أو غير منسوب، وأحياناً يرد قول القائلين بالوهم أو الخطأ مبيناً رأيه في ذلك، وقد جاء ترتيب المسائل في هذا الفصل أيضاً حسب ورود شواهدها وتسلسلها في القرآن الكريم فكانت على النحو الآتي:

المسألة الأولى: القول في حركة الميم في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1].

يتناول البحث في هذه المسألة الخلاف الذي وقع بين العلماء في حركة الميم إذ تباينت الآراء فيما بينهم، وهي من المسائل التي وقف عندها أبو حيَّان ليعرض لنا آراء العلماء فيها، إذ ذهب جمهور القُرَّاء إلى القول بفتح الميم من : (ألمَ)، وقال الأخفش : يجوز في : (ألم الله) كسر الميم ؛ لالتقاء الساكنين، وردَّ الزجاجُ هذا الرأي وقال: هذا خطأ لا تقوله العرب لثقله، وبقي الخلاف يدور حول حركة الميم، واختلقوا في فتحها ؛ إذ ذهب سيبويه إلى أنَّها حُرِّكت لألتقاء الساكنين، كما حرَّكوا (مِنَ الله) وهمزة الوصل ساقطة للدرج كما سقطت في (مِنَ الرجل) وكان الفتح أولى من الكسر لأجل الياء كما قالوا: أين ؟ كيف ؟ وذهب الفراء إلى أنَّ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١ -٢ .

الفتحة في الميم هي حركة الهمزة حين أسقطت للتخفيف، وقد أجمعوا واختاروا ما ذهب إليه الفرَّاء فيما يخص حركة الميم التي هي حركة الفتح[١] .

وسنتناول آراء العلماء والمفسرين والقراء في هذه المسألة بحسب الأسبقية في الزمن.

رُوي عن أبي جعفر الرؤاسي أنه قرأ ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بقطع الألف من (الله) أمَّا القُرَّاء فإنَّهم اتفقوا على طرح همزة ألف (الله) والعلَّة في فتحة الميم ؛ لأنَّ الميم جُزمت لنية الوقف عليها إلا أنها كانت مجزومة جزماً أصلياً، فإذا كان الحرف يُنوى به الوقوف نوي ما بعده الاستئناف، فالقراءة (الم الله) بجزم الميم فتركت العرب همزة ألف لفظ الجلالة (الله) فصارت فتحتها في الميم بسكونها فقرئ (ألمَ الله) لهذه العلة لو كانت الميم مجزومة جزماً مستحقة الجزم لكسرت حين استقبالها ألف ولام قال ابو اسحاق: إنما حركت الميم في (ألم الله) لانه لا يسوغ في اللفظ أن ينطق بثلاثة أحرف سواكن فلابد من فتحة الميم في (ألم الله) [٢].

وقيل إن الميم في قوله ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ في أول سورة (آل عمران) على قراءة الجماعة سوى الأعمش عن أبي بكر ومن تابعه على إسكانها من الرواة قوله (ألم أحسب الناس) على رواية ورش عن نافع فاختلف الراوة في زيادة التمكن للياء قبلها في موضعين:

- قال بعضهم: يزداد في تمكينها ويشبع مطها ؛ لأن حركة الميم عارضة إذ هي للساكنين في آل عمران.
- قال آخرون: لا يزاد في تمكين الياء في ذلك إلا على مقدار ما يوصل به إليها لا غير لأنَّ ذلك إنَّما كانت يجب فيها مع ظهور سكون الميم فلما تحركت امتنعت الزيادة بعدم موجبها فعاملوا اللفظ واعتدوا بالحركة.

والمذهبان حسنان باللغات، غير أنَّ الأول أقيس، والثاني آثر عليه عامة أهل الأداء، وقد جاء به منصوصاً إسماعيل النحاس عن أصحابه عن ورش عن نافع [٣].

وقد ورد الكثير من الكلام حول حركة الميم في أوائل سور القرآن ومنها سورة (آل عمران) التي بدأت بـ (ألم) حركت الميم لالتقاء الساكنين وهو الميم ولام التعريف في لفظ جلالة (الله) ولم تحرك لسكونها وسكون الياء قبلها ؛ لأن جميع هذه الحروف التي على هذا المثال تسكن اذا لم يلقها ساكن بعدها كقوله (الم ذلك الكتاب – حم – طس – ق) وفتحت لوجهين:

- أحدهما: كثرة استعمال اسم الله بعدها.

---

(١) البحر المحيط: ١٠/٣

(٢) معاني القراءات للأزهري: ١٠١/١.

(٣) جامع البياني في القراءات السبع: ٥٠٥/٢.

- الثاني: بثقل الكسرة بعد الياء.

وأجاز الأخفش كسرها وفيه من القبح، وأيضاً قيل فتحت الميم ؛ لأن حركة همزة (الله) ألقيت عليها وهذا رأي بعيد لأن همزة الوصل لاحظ لها في الثبوت في الوصل حتى تلقى حركتها على غيرها. وقيل إن الهمزة في (الله) همزة قطع وحذفت لكثرة الاستعمال فلذلك ألقيت حركتها على الميم لأنها تستحق الثبوت [١].

هناك ملحوظة في نطق الميم في (ألم) إنه إذا وقفنا على آخر (ألم) بدون وصلها بما بعدها فلا بد من مد الميم ست حركات، أما إذا وصلناها بالآية التي بعدها فسوف تكون الميم مفتوحة لتفادي التقاء الساكنين أي بفتح الميم وعدم نطق همزة ألف لفظ الجلالة (الله) لأنها همزة وصل تسقط حال الوصل، وهذه الفتحة عارضة أتت لتفادي التقاء الساكنين في حالة الوصل يجوز لنا وجهان:

- أحدهما: مد الميم ست حركات باعتبار أنها في الأصل ساكنة.
- الثاني: قصرها إلى حركتين فقط باعتبار أنها أصبحت غير ساكنة وانتفى سبب المد اللازم[٢].

الميم في لفظ (ألم) قد حركت بالفتح لاجتماعها ساكنة مع لام لفظ الجلالة، وطبيعي أن همزة الوصل لا ينطق بها وصلاً فمن أشبع نظر إلى الأصل وهو سكون الميم ولم يعتد بالحركة لأنها عرضت للتخلص من الساكنين ومن قصر النظر إلى الحركة العارضة وكان التخلص من الساكنين هنا بالفتح حرصاً على تفخيم لفظ الجلالة، أما إذا وقفت على (ألم) فلا بد من الإشباع؛ لأنَّ الميم قد عاد إليها سكونها الأصلي[٣].

وأورد ابن عطية رأيه قائلاً: ((قرأ الجمهور (الم الله) بفتح الميم والالف ساقطة وروي عن عاصم أنه سكن الميم ثم قطع الألف، وروى الأولى حفص، وروى الثانية أبو بكر، وذكر الفراء عن عاصم، وقرأ أبو جعفر وأبو حيوة (ألم) بكسر الميم للالتقاء، وذلك لأن الياء تمنع من ذلك والصواب الفتح وهي قراءة جمهور الناس [٤].

قيل إنَّ الميم فتحت في (ألم الله) لأن لقيها حرف ساكن فلم يكن من حركتها بدّ فإن قيل (فهلاّ) حرّكت بالجر، فإنَّ هذا لا يلزم فيها، وإنَّما أرادو الحركة، فإذا حركوها بأي حركة كانت، فقد وصلوا الى الكلام بها وقال بعضهم: ((فتحوا الحروف التي للهجاء إذا لقيها الساكن

---

(١) التبيان في إعراب القرآن: ٢٣٥/١، للعكبري.

(٢) التبيان في إعراب القرآن: ١/ ٢٣٥.

(٣) الروضة الندية في شرح متن الجزرية: ٨٥/١، وينظر: معلم التجويد: ١/ ١٤٤.

(٤) المنار في علوم القرآن، مدخل في أصول التفسير ومصادر: ٢٦٩/١.

ليفصلوا بينها وبين غيرها)) قالوا (مِنَ الرجل) فتحوا لاجتماع الساكنين قالوا: (هل الرجل) و(بل الرجل) ليس بين هذين وبين (مِنَ الرجل) لئلا تجتمع كسرتان فالأصل فيه أن تقول (ألم الله) فتقطع ألف لفظ الجلالة إذا كان ما قبله منفصلاً كما لو قلنا (واحد، اثنان) فقطعت [١].

ويبدو ممَّا تقدم من آراء علمائنا الكبار أنَّ فتح الميم في (أم) هو الصواب، أما قراءة الكسر فلم يُجمع عليها القُرّاء والعلماء لثقلها في العربية، وكما نعلم إن حركة الفتح أخف الحركات في اللغة .

المسألة الثانية : توجيه القراءات لقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ [٢] يتناول البحث في هذه المسألة القراءات الواردة في قوله (معايش) إذ قرأها الجمهور بالياء بلا همزة (معايش)، وقرأها غير واحد من القراء بالهمزة (معائش)، وقد احد ابو حيان هذا الاختلاف في القراءة ونقل فيه رأي القراء وما ذهب اليه من كون الهمز في (معايش) هو مما توهمته العرب فيقول: ((وقال الفراء: ربما همزت العرب هذا وشبهه يتوهمون أنها (فعيلة) فيشبهون (مفعلة) بـ(فعيلة) انتهى، فهذا نقل من القراء عن العرب أنهم ربما يهمزون هذا وشبهه)) [٣]. ويمضي ابو حيان في إيراد أقوال العلماء في الهمز وتركه ناقلاً رأي الزجاج بتخطئة الهمز وتضعيف القراءة به فتقول: ((وقال الزجاج جميع نحاة البصرة تزعم ان همزها خطأ ولا أعلم لها وجهاً الا تشبيهه بصحيفة وصحائف ولا ينبغي التعديل على هذه القراءة)) [٤] كما أشار أبو حيَّان إلى رأي المازني في أصل قراءة الهمز فيقول: ((وقال المازني: أصل أخذ هذه القراءة عن نافع ولم يكن يدري ما العربية، وكلام العرب التصحيح في نحو هذه انتهى)) [٥] سأتناول آراء العلماء والمفسرين في هذه القراءة وما هو أصلها هل هو الهمز أم تركه.

أورد الأزهري رأيه قائلاً: ((روى خارجة عن نافع (معايش) بالهمز، رد عليه ابن مجاهد وقال: هذا غلط وقرأ الباقون (معايش) غير مهموز، قال ابو منصور: بالهمز بكون في الياء الزائدة ؛ لأنه لا حظ لها في الحركة، وقد قربت من آخر الكلمة ولزمتها الحركة فأوجبوا فيها الهمز)) [٦].

---

(١) الموسوعة القرآنية خصائص السور: ١/ ١١٨.

(٢) سورة الاعراف، الآية: ١٠.

(٣) البحر المحيط: ١٥/٥، وينظر: معاني القرآن، للفراء: ٣٧٣/١.

(٤) البحر المحيط: ١٥/٥.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) معاني القراءات: ٤٠٠/١-٤٠١، للأزهري.

وذكر العسكري في رأيه في أصل هذه القراءة وما هو الصحيح فقال: ((الصحيح (معايش) لأن الياء لا تهمز هنا ؛ لأنها أصلية، وحركت لأنها في الأصل محركة، ووزنها فعيلة كمعيشة، وأجاز قوم أن يكون أصلها الفتح، وأُعلت بالتسكين في الواحد، كما أُعلت في يعيش، وهمزها قوم وهو بعيد جداً، ووجهه أنه شبهُ الأصلية الزائدة نحو: سفينة وسفائن))[١]. ومن ثم قيل أنها لا تُهمز؛ لأنها على وزن (مفاعل) وهي من العيش ومفردها (معيشة)، والأصل أن معيشة على وزن (مفعلة) وهي ما يعايش به من نبات وحيوان [٢].

اتفق القراء ابو عمرو وهشام وحمزة والكسائي على قراءة (معايش) بالياء بلا همز لأن ياءها اصلية جمع معيشة من العيش واصل معيشة على وزن (مفعلة) [٣] ثم جاء الجوهري فقال: ((المعيشة جمعها (معايش) بلا همز اذا جمعها على الاصل وتقديرها (مفعلة) والياء أصلية متحركة فلا تنقلب في الجمع همزة نحو: مكابل ومبايع وان جمعتها على الفرع همزت وشبهت مفعلة بفعيلة، كما همزت المصائب ؛ لأنَّ الياء ساكنة.

ويبدو لي مما تقدم من آراء العلماء إن الأصل في قراءة لفظة (معايش) هي الياء بلا همز لأن الياء في هذه اللفظة أصلية وليست زائدة، لو كانت الياء زائدة لوجب همز اللفظة وجميع العلماء والقراء قرؤوها بالياء إلا واحداً قرأها بالهمز على أنَّ الياء فيها زائدة.

المسألة الثالثة: توجيه القراءات في قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ [٤]، والبحث في هذه المسألة يجري في توجيه القراءات الواردة في هذا النص الكريم، إذ قراءة الجمهور بفتح الواو وهناك من قرأ بكسرها، إذ أشار الاخفش الى القائلين بالكسر مشيراً الى انهما لغتان، جاء في البحر المحيط: ((وقرأ الاعمش وابن وثاب وحمزة، ولايتهم بالكسر، وباقي السبعة والجمهور بالفتح، وهما لغتان قاله الاخفش)) [٥] وكان الاخفش قد اشار الى هذه المسألة بالقول: ((وقال: ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ وهو في الولاء واما في السلطان فالولاية، ولا اعلم كسر الواو في الاخرى الا لغة)) [٦] .

---

(١) التبيان في إعراب القرآن: ٥٥٨/١، للعكبري.

(٢) التبيان في تفسير علوم القرآن: ١٦٤/١، وينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٣٠٩/٢.

(٣) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: ٢٨٠/١.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

(٥) البحر المحيط: ٣٥٨/٥، وينظر: معاني القرآن: ٣٥٢/١، للأخفش.

(٦) معاني القرآن: ٣٥٢/١.

ثم أشار أبو حيان إلى موقف الأصمعي ممَّا ذهب إليه الأخفش واصفاً قول الأصمعي بالخطأ، جاء في البحر المحيط: " ولحّن الأصمعي الأخفش بقراءته بالكسر، وأخطأ في ذلك؛ لأنها قراءة متواترة، وقال ابو عبيدة: بالكسر من ولاية السلطان وبالفتح من المولى، ويقال: مولى بيّن الولاية بفتح الواو)) [١] ويمضي أبو حيَّان في ذكر ما جاء عن الزجَّاج في بيان ضبط الكلمة ودلالاتها وتوجيه القول فيها وتجويز الكسر فيقول: ((وقال الزجاج بالفتح من النصرة والنسب، وبالكسر بمنزلة الإمارة قال: ويجوز الكسر لأن في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل، وكل ما كان من جنس الصناعة مكسور مثل القصارة والخياطة))[٢] وتابع الزمخشري الزجَّاج موجهاً قراءة الكسر فقال: ((وقرئ: (من ولايتهم) بالفتح والكسر، أي من توليهم في الميراث، ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضاً شبه بالعمل والصناعة، كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمراً ويباشر عملاً)) [٣].

وردت قراءتان في لفظة (ولايتهم) وهي قراءة بفتح الواو وكسره وهما لغتان، وقيل إنَّ القراءة التي تكسر الواو بمعنى الإمارة أي : السلطان . أمَّا القراءة الثانية التي هي بفتح الواو فهي الموالاة والنُّصرة[٤].

ووردت لفظة (الولاية) في اللغة بمعنى النصرة أو الناصر، فاختار الطبري أن تكون الولاية بمعنى النصرة حتى وان كان الوالي بمعنى الناصر لأن قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ ﴾ يرد ذلك [٥].

من خلال الاطلاع على آراء القراء المفسرين تبيَّن أنَّ منهم من قرأ بكسر الواو ومنهم من قرأ بفتح الواو وكل قراءة من ذلك تؤدي الى معنى لـ (ولايتهم) من قرأ بالكسر فكانت اللفظة تعني السلطان، أمَّا الذي قرأ بفتح الواو فكانت اللفظة تعني ولاية الله سبحانه وتعالى.

(١) البحر المحيط: ٣٥٨/٥، وينظر: مجاز القرآن: ٢٥١/١، لأبي عبيدة.
(٢) البحر المحيط: ٣٥٨/٥، وينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٣٩/١، للزجَّاج.
(٣) الكشاف: ٢٣٩/٢، وينظر: البحر المحيط: ٣٥٨/٥.
(٤) التبيان في إعراب القرآن: ٦٣٣/٢.
(٥) جمال القراء وكمال الإقراء: ٤١١/١.

المسألة الرابعة: توجيه القراءات لقوله تعالى: ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ ﴾[١]

وهذا أحد المواضع التي وقف عندها أبو حيَّان مبيناً آراء العلماء وأصحاب القراءات في قراءتها، إذ قرأ الجمهور (أُمَّة) وقرأ عكرمة ومجاهد وغيرهما (أمْه) بسكون الميم من (أمَه)، وهو من أوجه القراءات المختلف فيها، والتي رصدها أبو حيان في البحر المحيط، مشيراً فيها إلى رأي الزمخشري في تخطئة من قرؤوا بسكون الميم قال أبو حيان: ((وكذلك قرأ ابن عمر، ومجاهد، وعكرمة، وأُختلف عنهم، وقرأ عكرمة وأيضاً مجاهد، وشبيل ابن عزرة: بعد أَمْهِ بسكون الميم مصدر أمَه على غير قياس، وقال الزمخشري: ومن قرأ بسكون الميم فقد أخطأ..) [٢] كما نقل أبو حيان ما قرأ به الأشهب العقيلي بكسر الهمزة وفتح الميم وتشديدها (إمَّة) وهي النعمة فقال: ((وقرأ الأشهب العقيلي: (بعد إمَّة) بكسر الهمزة أي: بعد نعمة أنعم عليه بالنجاة من القتل وقال ابن عطية: بعد نعمة انعم الله بها على يوسف في تقريب إطلاقة، والامة النعمة))[٣].

وأورد الفراء رأيه بهذه المسألة قائلاً: ((وقوله: وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ، الامة: الحين من الدهر وقد ذكر عن بعضهم إن (بَعۡدَ أُمَّةٍ) وهو النسيان يقال رجلُ مأموه كأنه الذي ليس معه عقله وقد أمه الرجل)) [٤].

ويشير ابن جني في لفظة (الأمة) ويقول: (الأمة: النسيان، أمه الرجل يأمه أمها أي نسى، وقرأ الأشهب العقيلي(بعد إمَّة بكسر الهمزة أي: بعد نعمة)).

وبعد ذلك جاء الباقلاني يقول: ((وادّكر بعد أمةٍ، وبعد أمه، ومعنى أمَّة حين، وأمَه معناه النسيان، وذلك صحيح لانه ادّكر بعد حين. وبعد أنْ نسي أيضاً، فضم الله سبحانه وتعالى المعنيين في القراءتين، وقوله : ﴿ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا ﴾ بكسر العين ومعناه: الطلب والمسألة))[٥].

وخلاصة القول في هذه المسألة أن (أمة) فيها اكثر من قراءة منهم من ضم همزة (أمة) ومنهم من كسرها وكل حركة فيها تعطي معنى فمن قرأ بضم الهمزة وتشديد الميم تكون

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٥.

(٢) البحر المحيط: ٦/٢٨٤.

(٣) المصدر نفسه: ٦/٢٨٤.

(٤) معاني القرآن: ٢/٤٧، للفراء، وينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: ١/٦٨

(٥) الانتصار للقرآن للباقلاني: ١/٣٨٨، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤/٣٧.

بمعنى الحين، ومن قرأ بكسر الهمزة تكون بمعنى نعمة وقال البعض في قراءة ضم الهمزة يكون معناها النسيان.

المسألة الخامسة: توجيه القراءات في قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَنَاْ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ﴾[1]، والبحث في هذه المسألة في قوله تعالى ﴿بِمُصۡرِخِيَّ﴾ وما جاء فيها من قراءة مخالفة لما عليه الجمهور من فتح الياء وتشديدها إذ نقل ابو حيان فيها عن بعضهم القراءة بكسر الياء مبيناً موقف النحاة من هذه القراءة، ومشيراً الى رأي الفراء ووصفه قراءة الكسر بالوهم جاء في البحر المحيط: ((وقرأ يحيى ابن وثاب، والاعمش وحمزة: بمصرخيّ بكسر الياء، وطعن كثير من النحاة في هذه القراءة قال الفراء: لعلها من وهم القراء، فإنه قلّ من سلم منهم من الوهم، ولعله ظنه ان الباء في (بمصرخي) خافضة للفظ كله، والباء للمتكلم خارجة من ذلك وقال ابو عبيد نراهم غلِطوا ظنوا ان الباء تُكسر لما بعدها وقال الاخفش ما سمعت هذا من احد من العرب ولا من النحويين وقال الزجاج: هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة ومزدولة، ولا وجه لها إلا وجه ضعيف وقال النحاس: صار هذا إجماعاً، ولا يجوز ان يحمل كتاب الله على الشذوذ. وقال الزمخشري: هي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول[2]:

قال لها هل لك يا تافيّ قالت له ما انت بالمرضيِّ)) [3]

وكان الفراء قد ذكر هذه المسألة وأشار الى القائلين بكسر الياء من القراء ورجح أن يكون من وهم القراء إذ قال: ((ولعلها من وهم القراء، فإنه قلّ من سلم منهم من الوهم ولعله ظن ان الباء في (بمصرخي) خافضة للفظ كله والياء من المتكلم خارجة من ذلك)) [4].

ويشير الاخفش الى هذه القضية فيقول: ((وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ فتحت ياء الاضافة لأن قبلهالا ياء الجميع الساكنة التي كانت في (مصرخي) فلم يكن من حركتها بدٌ لأن الكسر من الياء وبلغنا ان الأعمش قال: بمصرخيِّ، بكسر الياء، وهذا لحن لم نسمع بها أحد من العرب ولا اهل النحو)) [5].

---

(١) سورة ابراهيم، الآية: ٢٢.

(٢) البيت بلا نسبة في شرح الكافية الشافية ٦٩/١، وفي شرح التسهيل٢٨٤/٢، وتمهيد القواعد٧/ ٣٢٧٢ .

(٣) البحر المحيط: ٤٢٨/٦.

(٤) معاني القرآن: ٧٥/٢.

(٥) المصدر نفسه: ٤٠٧/٢.

وكان الزجاج قد ذكر هذه المسألة واشار الى القائلين بكسر الياء من القرّاء ورجح أنها قراءة رديئة إذ قال: ((قرأ الناس، وقرأ حمزة والأعمش (بمصرخيّ) بكسر الياء وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها الا وجه ضعيف ذكره بعض النحويين، وذلك ان ياء الاضافة إذا لم يكن قبلها ساكن حركت الى الفتح، مثل: هذا غلامي، قد جاء))[١].

وذكر الزمخشري هذه المسألة واشار الى القراءة بكسر الياء فقال: ((بمصرخيِ بكسر الياء وهي قراءة ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول:

قـــال لهـــا هـــل لـــك يـــا تـــافيّ قالـــت لـــه مـــا انـــت بالمرضـــي

وكأنه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة، فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين لكنه غير صحيح لأن ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة)) [٢].

وقيل إن الشيطان قابل بين قوله ﴿ مَّآ أَنَاْ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾ وقوله : (وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ) توكيداً لنفي الاغاثة عندما قال البعض إن (بمصرخكم وبمصرخي) معناه باغاثتكم وإغاثتي، ففي (بمصرخي) جاء بضمير المتكلم وبالباء في الخبر مبالغة في بيان عدم إصراخه إياهم، وقابل به بالضمير (انتم) مخاطباً لهم بنفي اصراخهم إياه وخلاصة هذا الكلام: ((أن مجيء الباء في هذه الآية لتوكيد دلالة النفي المسلط على الخبر فـ (الباء) حرف معنى، وجد، ولكنه ليس حرفاً زائداً لأن وجوده أفاد معنى قوة النفي وتأكيده، لكن العلماء يجعلونه زائداً وزيادته للتوكيد))[٣] .

(١) معاني القرآن واعرابه للزجاج: ١٥٩/٣.

(٢) الكشاف: ٥٥١/٢.

(٣) المحاجّة في القرآن الكريم: ١٠١/١.

الخـــاتمة

بعد هذه الرحلة في عُباب البحر المحيط، وما تخلَّلها من مصاعب ، وما أمضيتُهُ فيها من وقت، وبعد العمل الدؤوب، والبحث المتواصل انتهت رحلتنا إلى جملةٍ من الحقائق والنتائج يُمكن إيجازها في النقاط الآتية :

أولاً : ما وُصِفَ بالوَهْمِ، أو بالخطأِ من الآراءِ والأوجه ما هي إلَّا وجهات نظرٍ مِمَّن قال بها، أو تبنَّاها .

ثانياً : كان قسمٌ من الآراء الموصوفةِ بالوَهْمِ خاصَّاً بأبي حيَّان، وقسمٌ منها جاء منقولاً على لسانه عن غير واحدٍ من العلماءِ .

ثالثا : كان أبو حيَّان مسبوقاً في بعض الآراءِ والمواضع، إذ سبقه غيرُهُ من العلماءِ في الإشارة إليها .

رابعاً : شملت تلك الأوهام والأخطاء قضايا نحويةً، وأخرى لغويَّة، وثالثةً تتعلَّقُ بالقراءات .

خامساً : لم تكن تلك الأوهام مقصورةً على عدد معيَّن من العلماء، وإنَّما شملتْ قسماً من النحاة والمفسِّرين والقُرَّاء .

وبعدُ نسأل الله . تعالى . أن يتقبل منَّا هذا العملَ، ويغفرَ لنا ما كان من الوَهْمِ، أو الخطأِ، وأن يُقيلنا من الزللِ، إنَّهُ وليُّ ذلك والقادرُ عليه .

ثبت المصادر

- الإبانة في اللغة العربية، سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، تحقيق : د.عبد الكريم خليفة وآخرين، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط . سلطنة عمان، ط١، ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩ م.
- إبراز المعاني من حرز الأماني، ابو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بابي شامة (المتوفى ٦٦٥هـ)، دار الكتب العلمية
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي شهاب الدين الشهير بالبناء (ت١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، ٢٠٠٦م- ١٤٢٧هـ.
- الاتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:١٣٩٤هـ ـ١٩٧٤م.
- أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية، د . عبد الرزاق بن حمودة الفادوسي . أطروحة، كلية الآداب . جامعة حلوان، ١٤٣١ هـ . ٢٠١٠ م .
- أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص ابو بكر (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد الصادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ .
- الأزهية في علم الحروف، محمد بن علي بن محمد، أبو سهل الهروي (ت ٤٣٣هـ)، تحقيق : عبد المعين الملوحي، ط مجمع اللغة العربية بدمشق .
- أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيدالله، أبو البركات كمال الدين الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، دار الأرقم ابن أبي الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩ م .
- الأضداد، أبو بكر، محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية . بيروت . لبنان، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م .
- إعراب القرآن، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي أبو القاسم الملقب بقوام السنة (ت:٥٣٥هـ)، تحقيق: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية- الرياض، ط١: ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- إعراب القران وبيانه، محيي الدين أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣ هـ)، دار الارشاد للشؤون الجامعية – سورية، دار اليمامه – دمشق بيروت، دار ابن كثير- دمشق- بيروت، ط ع : ١٤١٥ هـ.
- إعراب القرآن، علي بن الحسين بن علي، ابو الحسن نور الدين جامع العلوم الاصفهاني الباقولي (ت: ٥٤٣ هـ)، تحقيق و دراسة: ابراهيم الابياري، دار الكتب المصري- القاهرة، دار الكتب اللبنانية- بيروت- القاهرة، ط ع : ١٤٢٠ هـ.

- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس احمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨ هـ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١ :١٤٢١هـ .
- الإفصاح في فقه اللغة، حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي، مكتب الإعلام الإسلامي، ط٤، ١٤١٠ هـ .
- الألفاظ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت٢٤٤هـ)، تحقيق : د . فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٨م .
- الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح – عمان، دار ابن حزم- بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل احمد عبدالموجود- الشيخ محمد علي معوض، شارك في التحقيق د. زكريا عبدالمجيد النوقي، د. احمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م، لبنان- بيروت.
- البرهان في علوم القران، محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي أبو عبدالله (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، ١٣٩١هـ، بيروت.
- تاج العروس في جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق : مجموعة من المحققين، دار الهداية .
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبه الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان .
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبدالله بن حسين بن عبدالله العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .
- التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم بطنطا- القاهرة، ط١: ١٩٩٢م.
- التحذير في القرآن الكريم، علاء ناجي جاسم الموسوي، رسالة ماجستير، كلية التربية . جامعة بابل، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٤م .
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبدالله الهروي الشافعي، إشراف ومراجعة د . هاشم محمد علي، دار طوق النجاة . بيروت . لبنان، ط١، ١٤٢١هـ . ٢٠٠١م .

- تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البحري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ب ت .
- تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت١٠٤هـ)، تحقيق : د . محمد عبد السلام أبو الليل، دار الفكر الإسلامي الحديثة . مصر، ط١، ١٤١٠هـ . ١٩٨٩م .
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط١، ٢٠٠١م .
- التوقيف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف ابن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي (ت ١٠٣١ هـ)، عالم الكتب . القاهرة، ط١، ١٤١٠ هـ . ١٩٩٠ م .
- جامع البيان في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان ين عمر أبو محمود الداني (ت: ٤٤٤هـ)، جامعة الشارقة- الامارات، ط١: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي أبو الحسن (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطية، د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق- بيروت، ط١: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- الجمل في النحو، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت:١٧٠هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط٥: ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م
- حاشية الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت ١٢٣٠هـ)، تحقيق : د. عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٨هـ .
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق بيروت، ط٤: ١٤٠١هـ.
- حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة ابن زنجلة (ت حوالي ٤٠٣ هـ)، تحقيق : سعد الأفغاني، دار الرسالة .
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة (ت: ١٤٠٤هـ)، دار الحديث، القاهرة.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م .
- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق : د . مهدي المخزومي و د . إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .

❖ الكليات، أيوب بن موسى الحسيني القرايمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ب ت .
❖ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، دار صادر– بيروت، ط٣: ١٤١٤هـ .
❖ اللمحة في شرح الملحة، محمد بن حسن بن سباع بن ابي بكر الجذامي ابو عبدالله شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (ت: ٧٢٠هـ)، تحقيق: ابراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية، المدينة المنوره، المملكة العربية السعودية. ط١: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤
❖ مجاز القران لابي عبيدة، ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي– القاهرة، ط: ١٣٨١هـ.
❖ المحتسب في تبيين وجوه الشواذ من القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جنِّي الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط : ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م .
❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ .
❖ معاني القراءات، محمد بن احمد بن الازهري الهروي، ابو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الاداب جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.
❖ معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: احمد يوسف النجاني / محمد بن علي النجار / عبدالفتاح اسماعيل الشلبي، دار المصرية للتاليف والترجمة – مصر، ط١ .
❖ معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالاخفش الاوسط (ت: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١: ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
❖ معاني القرآن وإعرابه للزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبدة شلبي، علام الكتب– بيروت، ط١: ١٤٠٨–١٩٨٨م
❖ معترك الأقران، عبدالرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هت)، دار الكتب العلمية و بيروت –لبنان، ط١: ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

❖ المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، د . محمد علي الحسن، مؤسسة الرسالة . بيروت، ط١، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م .

❖ المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، د . محمد علي الحسن، مؤسسة الرسالة . بيروت، ط١، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م .